فؤاد حداد



طيوف الجنة والكوثر على الطريق الرمضاني

الغلاف
الاخراج
للفنان : محمود الهندى

طُيُوفُ الجنّةِ والكوثر

عَلَى الطريق الرَمَضانى

على الطريق الرمضانى
فى كل عصرٍ وأذانِ
فى الشمس فَوْق البُستانِ
وفى الهلال إذا هَلّا

يمشى فؤادٌ عبد الله
مسبّحاً الله الله

يمشى فؤادٌ عبد الله
مسبّحاً الله الله

يمشى هنــاك عــلى الجسْــرِ
فى دورة الـفـلك الـمِصْــرِى
يشــدو بمَـلحـمـةِ الــجـذرِ
طيـرٌ على الـغـصـن مُـوَلّـه

يــمــشــى فــؤادٌ عــبــد الله
مــســبّــحــاً الــله الــله

يــمــشــى فــؤادٌ عــبــد الله
مــســبّــحــاً الــله الــله

عناوين الأماكن والأيام :

على الطريق الرمضانى
طيوف الجنة والكوثر

الحمدُ لله كثيرا
ولدتُ فى الوطن الأخضر

والحمد لله أولاً وأخيرا .

النشيد الأول :

إلى كلكم المغنى الشادى

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : كان ياما كان مغربيٌّ من أهل الله يدعى يوسف بن أحمد ، يدور بأكواب الشاى الأخضر ، فى بلاد الفحّامين والكحكيّين وأسواق النُحاس ، على صينية تغنى ، فى برّادٍ أنيق ، يسعى إلى الرزق أمراً بالمعروف ، بلغ السنَّ التى يتماثل فيها السحاب الأبيض والأسود فوق الرءوس ، وفى جناح الطير ، وعلى الجدران التى يداعبها بصيصُ عينيه لماماً ، بزغ وقوراً من طفولته ، يصوم رمضان والحمد لله والاثنين والخميس لا يخطىء صيامها أبداً .

والآن اسمعونى كراماً واقبلوا طلبى ، شيئاً من الزهو القليل فى ذلك العَصْر إذ سبق جمعُنا السعيد إلى نبذ الألقاب التركيّة ، وتشرّفنا بألقاب العرب . خلعها علينا السّيّدُ يوسف بذات نفسه فهو السيد يوسف ونحن السّيّدُ محمود والسيد عبد السلام والحزيّن والهلالى وسعد والسيد فؤاد ، مكرّمون أجواد .

بعودة الأيام يا أحبابنا ، لولاكم ما جئنا ولا أتعبنا أرجلنا وأنفُسَنَا . أذكرْ يا هذا مجلِسَنَا عند الرجل الطيّب يسقينا الشاى لدى المغرب ولدى العشاء ، وإلى أن نودّع الحارة وهى أشبه بغصن من شَجَرَهْ ، ينام الطيرُ أو يرقب فوقه مطلع الأيام المنْتَظَرَهْ . بعودة الأيام .

شطرة من بيت قديم تقولُ إن وجوه الحقِّ واحدةٌ .

كان السيد يوسف ينعس أحياناً ويصحو كأن قَوْماً حطّ على رءوسهم سهمُ الوجوم ، صاح فيهم قائل الخير :

وحّـــدوه

لاإله إلا الله

أنا الآن هذا الناعسُ اليقظان فعاودينى يا ذكريات الرضى فى النور . تعاونى خفيفةً خفيفةً على السرور .

كونى أشياء طيبة وأشخاصاً طيّبين يفسحون المجال بعضهم لبعض على الطريق الرمضانى .

أسرعى فى نجدتى أوقولى : فى التأنى السلامَهْ .

يا معدن الخير قد سمعتُ كلامَهْ . هذا زمان يستعيد أيَّامَهْ . فلنسبّحْ بحمد المولى

سـبْـحَـانَ الـكـريـمِ الـهـادى
أيـامـاً عـلـى مـيـعـادِ
إذْ نـحـنُ الـطـيـور الـخـضـرُ
وأطـلّـت عـلـيـنـا الـقـدرُ
عـنـقـودُ الـنـدى فـى الـوادى

أطْـرَبَـنـى عـبـيـرُ الـمِـسْـكِ
مـا ورد الـحُـسَـيْـنِ سـمـائـى
يـسـقـيـنـى نـسـيـمٌ يـسـقـى
أبـريـم الـتـى فـى الـمـاءِ
أرأيـتـم وَقَـدْ أَذّنّـا
عـنـقـودَ الـنـدى يـتـغـنـى
أرأيـتـم طـيـوفَ الـجـنّـه
سـبـقـتـنـى إلـى إنـشـادى

سـبـحـان الـكـريـم الـهـادى . .

سـبـقـتـنـى إلـى تـسـبـيـحِـى
وهـبـتـنـى حَـنَـانَ الـريـحِ
جَـعَـلَـتْـنـى لـهـا أرغـولا
فـى روض الـهُـدَى مـذهـولا

تَمْتَمْتُ الحروف الأولى
فى ضوء الهلال الأوّل
فأراحَ الجناحَ وهلّلْ
فى مَهْد الضلوع فؤادى

سبحان الكريم الهادى ..

أحبابٌ لنا أحبابُ
لولاهم هنا ما جئنا
بيدينا يُدَقُّ البابُ
أحياءٌ بهم ورُزِقْنا
لا إثمٌ ولا عدوانُ
عنقود النَدَى رضوانُ
وطريقى له رمضانُ
كلكم المغنّى الشادى

سبحان الكريم الهادى
أياماً على ميعادِ
إذْ نحنُ الطيور الخضرُ
وأطلت علينا القدرُ
عنقودُ الندى فى الوادى

النشيد الثانى :

إلى أن مصر طريقتى المهدية

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۢ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليم الفؤاد بن الحدّاد عبد الله : كان الدرج فى سُلَّم المنزل عالياً ، وكأنها قطعٌ من الصخر القديم لا أتصور أنها نُقِلَتْ ولا أتصور أنها لم تُنْقَلْ .

هل فُطِرَتْ منذ الأزل على وضعها الذى لا يوشك أن يتغيّر ، وعلى نتوئها البارز والمنزوى ، وعلى لونها الداكن والشاحب من ليلها ونهارها الواحدين فى مصباحها الواحد ، تهبط فى أناة أو تواصل الصعودْ ، بأقلّ مجهودْ مثل هذا السجع الذى بدأت أحاوله وأزاوله .

لو كنّا فى صحبة السيد يوسف لأسمعنا قصيدة ابن زريق - « ودّعته وبودّى لو يودّعنى صَفْوُ الحياةِ وأنّى لا أودّعه » كلّ أبياتها استهلال .

كنا ضيوف صديقنا مدكور ، رجل فى الثلاثين لا تضمحلّ قسمات وجهه على طول الفراق بعد ذلك ، ولكنها تتبادل بعض الملامح وبعض المعانى من وجه الرجل الذى دخل علينا ، الذى جلس إلينا ، الذى تنفس الهوينى متابعاً خطواته فى الملكوت .

لا تبعدا يا حلقات الهدى ويا نور خيالى . التفت إلىَّ من أعوام لا تُحْصَى ، التفتَ إلىَّ الآنَ فى صنع الأجيالِ ، كان النورُ يأتى من نوافذ أُخْرَى ، كان لديها وجاءْ . كان الربيعَ فى الشتاءْ . ريف المروءةِ الخضراءِ فى القاهرة .

تكلم فكان إنسان ماضى الوَطَنْ ،
والسابقين غداً ،
فاسمعوا الذكر والتسبيح الذى لا يبارح فؤاد اللسان والشفتين .

أوّل العهد أنَّ جارَ الحُسَيْنِ
قال ذِكْرٌ والله كان هَدِيَّه
يا فؤادَ اللسانِ والشفتينِ
أَبَدَ الدهرِ تقرأ الصَّمَدِيّه

أبد الدهرِ تقرأ الإخلاصا
لؤلؤ البحرِ يطلبُ الغواصا

كلُّ بعض ببعضه يتواصى
الدموعُ المتمتماتُ بعينى
وسؤال الرضيع بالأبجديّه

أول العهد أن جار الحسينِ
قال ذكرٌ والله كان هديّه
يا فؤادَ اللسانِ والشفتينِ
أبد الدهرِ تقرأ الصمديّه

لم تزل مهجتى تَؤُمُّ صحابى
حيث نسعى إلى أجلّ الرحابِ
وسجوداً فى طاعة الوهّابِ
نحن كنّا ثمارَ مئذنتيْنِ
وغصونٍ مشوّقاتٍ ندِيّه

أوّل العهد أنَّ جارَ الحُسَيْنِ
قال ذِكْرٌ والله كان هَدِيَّه
يا فؤادَ اللسانِ والشفتينِ
أَبَدَ الدهرِ تقرأ الصَّمَدِيّه

هذه الأرضُ طوّقتنى يَدَاها

ودعـتـنـى حـبـيـبـهـا وفـتـاهـا
رؤيـتـى فـى الـحـيـاة حـقـاً. وريّـى
لـم تـكـن غـيـر طـيـفـهـا الـكـوثـرىّ
يـجـدُ الـنـورَ فـطـرةً وبـداهـه
سـائـرُ الـلـيـلِ حـين يُسْقَى نـداهـا
وحين أغنّى
إن مـصـراً طـريـقـتـى الـمـهـديّـه

أوّل الـعـهـد أنَّ جـارَ الـحُـسَـيْـنِ
قـال ذِكْـرٌ والله كـان هَـدِيَّـه
يـا فـؤادَ الـلـسـانِ والـشـفـتـيـنِ
أَبـدَ الـدهـرِ تـقـرأ الـصَـمَـدِيّـه

النشيد الثالث :

إلى أن الغد منذ الآن غدا وبنعمة ربى حدثت

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : صلوا على طه الرسول الأمين الرحمة المهداة للعالمين ، ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا أن هدانا الله ﴾ نشهد الشهر وندرك المقام وننزل فى الطلّ نُسَحّر المسلمين .

أخلصتُ النيّة فى القول أعمالى أمامكم كتابٌ يستنزل الرحمات لن يُغْمَطَ حقّه ، أنا سمير العتبات ، علماً وحلماً أعيش وأدور تحملنى الحاراتُ وتضعنى ، عيناى قريتان قاهريتان ، لا أدرى أين هناك وأين هنا ، وهل تشتاق المدائن إلى صوت رقيق أو قوىْ ، موحشٍ مؤنسٍ

أو عبقرىّ وهل أكون كليهما .

لا يؤمَرُ السامعون أن يَرَوْنى ، يؤمرون بالجِدِ فى عونى كما أُمِرْتُ بالجدّ فى هذا التسحيرْ .

كم يلبثُ الخيط الأخيرْ .

عيناى قريتان قاهريتان ، ناى لا يئن وطبلة لا تضجّ ، تدوران بما فاتْ وما يجىءُ وبالشرفاتْ تجاوبان صمتَ الناياتِ والطبول ، بين الدقتين سكتَهْ : خشوع وسجدَهْ .

تضعان روض الفرج تحت باب الفتوح .

تتنسّمان المشاهد .

تطلبانِ الرضى والقبول .

تذرفانِ المواليد .

تجدانِ على الأبوابْ والماء والورد فى الأباريق والقللْ والقرفةِ فى الأكوابْ وحرفة العبد الأوّابْ طيوف الجنّة والكوثر .

أما فى رمضان فأسهَرْ
فى الزيتونة أو فى الأزهر
أقرأ حاميم ولا تنْهَرْ
وبنعمة ربّى حدّثتُ

ثُمَّ على هذا المنوالِ
أنظم مأثور الأقوالِ

بالطبلة أو بالمَوَّالِ
وبنعمة ربىَّ حدّثتُ

ومضيتُ لأوقظ أحبابى
أدعوهم بأولى الألبابِ
من بابٍ سرتُ إلى بابِ
وبنعمة ربّى حدّثتُ

ومع الطبلة قلبى دقّا
طرباً طرباً حقّاً حقّا
أسمعتك مما أتلقّى
وبنعمة ربّى حدّثتُ

قم يا خالى قم يا عمّى
قمْ من نومٍ وإلى صومِ
بمحيّا سمحٍ لا جهمِ
وبنعمة ربّى حدّثتُ

يا حاجّ كثير الأبناءِ
لا تغرق فى النوم النائى
وتَسحَّرْ مَعَهم بهناء

وبنعمة ربّى حدّثتُ

واسمع فى تلك الأثناءِ
وانظر للقلّةِ والماءِ
كفؤادى هذا وغنائى
وبنعمة ربّى حدّثتُ

فى ظلّ نجومٍ بدريّه
هفت نسمات بحريّه
توشك أن تبدو ورديّه
وبنعمة ربّى حدّثتُ

وأرحتُ فويق الطبل يَدَا
وقد ارتوت الأزهار ندى
إن الغد منذ الآن غدا
وبنعمة ربّى حدّثتُ

إنى فى رمضان لأسهر
فى الزيتونة أوفى الأزهر
أقرأ حاميم ولا تنهر
وبنعمة ربّى حدّثتُ

النشيد الرابع :

إلى كل مافى الكون خاشع لله

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : عندما زرت تونس الخضراء بعد ألف سنة ، كان صِنْوَ الفجرِ نورُ المئذنة ، وكنّا ئِذٍ مولعين باقتناء التُحفَ ، وكان القول مختلطاً وجناح الطائر صلباً يحمل أناساً إلى كلِّ جهات الأرض ، شاخصين إلى السراب أو يتمرغون فيه ، مشدودين إلى الدنيا كما شَدَّ الحقائب إلى الترائب طغمة السيّاح ادّعاءً للقدم والفقر والسلام واللامبالاة ، الحمد لله لم يعتصرنى شىء من الرغائب إلا ابتسامة ذات الهمّة ، ولم تَذْهَبْ بلبىّ صغيرات الأعاجيب والألاعيب ، من الفنّ

المتقن أو المعيب ، إلا أقفاص فى تونس يسميها القوم هناك : أقفاص البلابل .

قلت فما بالها خالية ولا أقول خاوية على عروشها ، تخالُ مدناً من الأشجار والخيزران ، قائمة غير ذات ظلال ، هى أطلال الأنس أم أنس الأطلال ، أى حال كانت فأين بَلاَبِلُها ؟ قالوا : أطلقناها ، إن الخَيْرَ تناهى ، ولم تَبْقَ من تلك الآونة إلا هذه الزخرفة .

وكانت أسلاكاً فى الأصل من فضة وذهب ، قد كسيت الآن أمامى بياضاً كانبلاج اللبن ، وراحة الحبيب ، وذكرى الوطن .

قلتُ كأنى أخاطب البلبل ، أو كأنى هو أو إياه ، لا غيره أو سواه .

يا وحيدَ اللونِ
بلبلٌ حَمَّادْ
دائم التسبيحْ
شاعرٌ حدّاد
خالدٌ وذبيح
جامعٌ فى الضاد
كلَّ ما فى الكون
يا وحيد اللون

أجمل الأعمال نوايا
بُلبُلٍ اختار هواي [1]

واصلاً بالفجر قُوايا
لَمْ يَكُنْ صاحب بالينِ

يا وحيدَ اللونِ ..

فى قيام الليلِ أذانُ
لا يخالفه الإنسانُ
ضمّنى المغربُ والشامُ
والحجازيون رَأَوْنى

يا وحيدَ اللونِ ..

لا أَمْلُك حُبّاً حُبّاً
أستزيد حدائق غُلْبا
أطلبُ الرحمةَ والقُرْبى
لا أصُدُّ ولا أستَغْنِى

يا وحيدَ اللونِ ..

أَدْرَكَ الصادق أوطاره
وابتنى المستقبلُ داره

تارةً بالعين وتاره
بالوصالِ وأنت تغنى

يا وحيدَ اللونِ
بلبلٌ حَمَّادْ
دائم التسبيحْ
شاعرٌ حدّاد
خالدٌ وذبيح
جامعٌ فى الضاد
كلَّ ما فى الكون
يا وحيد اللون

خاشعٌ لله

النشيد الخامس :

إلى أن فى سبيل الله أوفت كبدى هذا الحنان

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : سمعت أبا انشراح يقرأ سورة الرحمن فى أرض الإمام والشيخ عبد الفتاح يتلألأ بها صوته فى القرية القاهريّة .

ربّما أجهش فى الليل الشاهد إلى الشاهد هنالك أو فُتِحَتْ نوافذ البكاء هنا ، ولكن الإنسان رافع رأسه لا محالة ، عائد إلى يومه .

قلتُ إنى بلبلٌ حمّاد بل أنت يا شيخ عبد الفتّاح أُقْسِمُ أنك ترى ابتسامتك ، لست عاجزاً عن رؤيتها أبداً ، إنما العاجز من احتاج إلى المرآة .

مَلَكَتْ يمينك شبح العصا وقرشين وعوداً من النبات ، وأحلاماً منمنمات ، ومنديلاً تمسح به العرق عن جبين الضياء .

قال نديم النهار فى القرية القاهرية : أرأيت صوتاً أعذب من شيخنا فى قراءتها وأصحّ وأوفى ؟ .

قلت : صدقتَ على أن توافقنى وترافقنى لترى ما قلتُ فى الحضرة الزكيّة : الجوّ فى علياء البلاد منقوشاً بمشربيّة من قصار السُوَر ، أول الوعد بالجنة ، ثم عبد الله بن مسعود يجهر بها فى ملأ قريش .. كان ضئيلا شبّه لى بظل جرادٍ حين يقفز ، طَاوَلَ النخيلَ أشرف الأشجار .

قال النبىّ صلى الله عليه وسلم « أنت غلامٌ مُعَلَّم » قرأ :

﴿ الرحمن. علّم القرآن . خلق الإنسان . عَلَّمَه البيان ﴾ .

الجراح التى لقيها حينذاك عندما تكالب عليه الذين يخسرون الميزان كانت بعد ذلك بلسم الصوت الجميل ، شفاء جيل بعد جيل ، أنزلت السكينة على قلب شيخنا اليوم فهو مثال الألفة والطمأنينة ينساب صوته فى الأزقة عنوانَ الفضاء ، تستقبل انشراح أباها ، تجد العيون حماها ،

﴿ النجم والشجر يسجدان ﴾ .

يَسْجُدَانْ يَسْجُدَانْ
آيةُ الدنيا بصيره
آنس الليلُ ضميره
أسعد الشمسَ المنيره
كلُّ حرفٍ فى الأذانْ

بَسَمَاتٌ يَانِعَه
فى عيونٍ دامعه
عند خبزٍ أو كتابٍ
كنت يوماً صانعه
ساحةُ الأرض أحسّت
بالسماءِ السابعه
يا فؤادى يا جناحى
يا رفيف الأقحوان

يَسْجُدَانْ ..

كلّ خيطٍ . كان أسود
كان أبيض
كان غصناً فوق غُصنِ
ظلّ فجر يتعوّد
مائلاً أن يتأوّد
يتودّد يتوسّد
رفرفاً خضراً ويُدْنى
عبقريّاتٍ حِسان

يَسْجُدَانْ ..

إن تكنْ ضاقت شباكى
عن أقلِ الثمرِ
كلُّ تسبيحٍ يحاكى
مُعْجزاتِ الشجرِ
لَمْ أغادِرْكم ولكن
لم أعد من سَفَرى
فِى سبيل الله أوفت
كبدى هذا الحنان

يَسْجُدَانْ يَسْجُدَانْ
آيةُ الدنيا بصيره
آنس الليلُ ضميره
أسعد الشمسَ المنيره
كلُّ حرفٍ فى الأذانْ

النشيد السادس :

إلى الحمد لرب النور أهتف بالحق المنصور

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : لا أستبدل بموّالى موّالاً ولا بعمامتى عمامة فليجلس العذال أمامى إن أرادوا عرض الحجرات وكراسيها وأرائكها يستمعون من مكان بعيد .

وغياب الأحباب فى حبل الوريد .

قلت للشيخ حسن باللسان الدارج : أنا الذى أعرف : أموت وأرفرف . فيا حبل وريدى ويا أحباب تغريدى أأموت وأرفرف ويقولون زخرفة ولعب وأرابسك ؟ ! .

يقول الملطّفون : توريق . أقول : حضور وتوفيق وحنان توأم الريق .

كتاب العبر ، والمبتدأ والخبر ، فلا يروح ولا يجىء الناس إلا وفى قلبى جناس أشواقهم ، وعلى لسانى .

الظلُّ يولد من ظلٍّ ونور .

نَعَسَتْ جراحى لتندمل والشبابيك تَنْهَض وتُفْتَح . بإزائها خفقت تلك البلابل الأثرية . كانت لا تزال ترفرف ، تقول وتزخرف قولها إن العبر فى الكبر ، وإن اليد الواحدة لا تصفّق ، وإن بيت الضيق يسع مئة صديق وإن البركة فى الحركة .

تُقَطّع بالمناقير وترسل بالأجنحة : إن البركة فى الحركة .

هل كان غيرى معى أم كان المنظر عين المنظر لا يراه اثنان ، الأوّل يريد الطير محنطين والثانى يريدهم للحياة .

قال الأوّل
أعناق الطير تماثيلُ
قال الثانى
إنّ الجوّ بهنّ يسيلُ
قلت الحمدُ لربِّ النورِ
أهتف بالحقّ المنصورِ :

ما أعناق الطير جَمَادُ
ها أنا بُلْبُلُها الحمَّاد

عصفوراً أَخْطُبُ فى الشجرِ
إنساناً أخطو بالأَثَرِ
أنقل صوتى غصناً غصنَا
يتهادى أريافاً مُدُنَا
أنزل واديها والنهرا
أصعد كل هلالٍ شهرا
كل طريقٍ بطنا ظهرا
لا يثبت أم لا يتحول
قال الأول
أعناق الطير تماثيلُ
قال الثانى
إن الجوّ بهنّ يسيلُ
قلتُ الحمدُ لربّ النورِ
أهتف بالحقّ المنصورِ :

ما أعناق الطير معادن
تجذبهنّ إلى ميعادٍ
أشواقٌ فوق الأشواقِ
لا أمشى فى درعٍ وَاقِ
أمشى بالكبدِ المقتحمه
زرعت فى الدنيا أيامى

أبــراج شــهــودٍ وحــمــامٍ
وغــيـمــونــاً فــى قــوس الــرامــىِ
ونــبــاتــاً لا يُــخــفــى رحــمــه
قــال الأوّل
أعــنــاقُ الــطــير تــمــاثــيــلُ
قــال الثانى
إنّ الــجــو بــهــنّ يــســيــلُ
قــلت الــحــمــدُ لــربّ الــنــورِ
أهــتــف بــالــحــق الــمــنــصــورِ :

مــا أعــنــاق الــطــيــر حــجــاره
هــاتــوا أقْــلامَــكــمــو هــاتــوا
يــجــرى منــهــا الدم فى الــحــاره
أعــنــاق الــطــيــر جــراحــاتُ
هــا أنــا بــلــبــلــهــا الــشــحّــاتُ
بــدمــوعٍ فــى زىّ دواءِ
وهــدوء طــيــوف الأنــواءِ
مــلأت ذاكــرة الأجــواءِ
عــنــد الــصــبــح يــدٌ تــنــســول
قــال الأوّل
أعــنــاق الــطــير تــمــاثــيــلُ

قــال الثانى
إنّ الــطــير بــهــنّ يــســيــلُ
قــلتُ الــحــمــد ربّ الــنــورِ
أهــتــف بــالــحــقّ الــمــنــصــورِ

النشيد السابع :

إلى أُحْيِيها بالصبر وبتسبيح الفجر

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : أنا فى المؤرخين ابن خلدون وفى الشعراء البوصيرى ، وأنا فى السربِ الذى حُدِّثْتَ عنه المنطلقْ ثمّ المشدوهِ أو القلقْ ثمّ يُنادَى لصلاة الجُمُعَةْ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته هذا السجود المؤتلقْ حتّى كأن النور من صنع الجبينْ والخير والمعروف فى هذا النشيد أعيد صنعَهْ .

أفديكِ يا دار الإسلامْ وأحمد الله على هذا المقامْ وأذود عنه بالابتسامْ دسائس المكتئبينْ .

أفديكِ يا دار الإسلامْ الماء للسبيلْ والأذانُ جميل فما الذى جاء بهذا الظلامْ وأبكى شعورَ النخيلْ أستسقى الغمامْ
والنيلْ
وأواصلْ والماء فى الحواصلْ وقبّةُ السماءِ وقرارُ البحر فى هذا الهديلْ
ونقشْتُ رمحى فى قلب الأسد
وملأت الصحراء ضياءً أخضر

نوراً وظلاً عند كلِّ لقاءِ
الأرضُ مثلُ حمامة ورقاءِ

ومن أسمائى المحسنة عطية والشحّات ، وصلاح الدين يُدْعَى صلاحَ الدين . يشرق الفجر فى كل حياةٍ مراراً وأنا أغنّى اضطراراً وتقرباً إلى أقحوانةٍ فوق الرُبَى .

هذى الأرض البور هذى الأرض تميد
أنا عبد الصبور أنا عبد الحميد
أُحْييها بالصبرِ
وبتسبيح الفجرِ .
حمداً واستغفارا
قد جئنا أنفارا
للحقلِ من الجامع
هل فينا من جائع
أو فينا عطشان

الأكبادُ ودائعْ
هذا الجرح الدامع
من مصر إلى الشام
أوغلنا فى البيد
وشَقَقْنا الأنهارا
ووُلِدْنا أحرارا
لا أمثالَ عبيد
هذى الأرض البور هذى الأرض تميد
أنا عبد الصبور أنا عبد الحميد
أُحْييها بالصبرِ
وبتسبيح الفجرِ
وبنور الإيمانْ
ودعاءٍ ظمآنْ
من ألفٍ للآنْ
أنا شيخٌ لا أدرى
من هذا الوجْدانْ
غير دموع تجرى
فى حبّ الأوطان
بسماتٌ فى ثغرى
أنبتت الأسنانْ
أنا أعشو للنورْ

والليل إذا يسرئ
والأشواق تمور
هذى الأرض البور هذى الأرض تميد
أنا عبد الصبور أنا عبد الحميد
أُحْييها بالصبرِ
وبتسبيح الفجرِ
ماذا فوق جبينى
من حبّات العرقِ
فى عينى من أرقِ
فى الريح وفى الورقِ
فى صدرى ويمينى
مرتعشاً بالقلقِ
عذتُ بربِّ الفلقِ
الله سيهُدينى
فأسبّح للهادى
تسبيح استشهادى
للماء وللطينِ
يوم صلاح الدينِ
فى الجنة عصفور
هذى الأرض البور هذى الأرض تميد
أنا عبد الصبور أنا عبد الحميد

أُحْييها بالصبرِ
وبتسبيح الفجرِ

النشيد الثامن :

إلى طافت بقلبى جنة المتقين لأن قلبى موطن الشهداء

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : أحمد الله على أنى رأيتُ الشيخ عبد الفتّاح ينمو النباتُ فى أطراف صوته ، ينمو البحر فى أصوله ، يطلع النهار يظلّ يطلع تتعالى أعناق الزهور فى طلب الندى تصل الأسطح النجوم يربو العجين ويطعمنا ـ الناس عنده وعندىَ اثنان : الصادقون والمشتاقون إلى الصدق ، الطيبون والمتلهفون إلى الطيب .

ملاعب النور والظل على باب دارك يا عم رفاعى وأنت يا عم محمود فى القريتين القاهريتين أهبط لها درجات السلم فى قرارك المطمئن

أم أصعد الدرجات .

أصحيح أنى لَمْ أسأل نفسى هذه الأسئلة حتى الآن .

أريد لخطواتى أت تستمر إلى الأبد . كيف إصباحى وإمسائى . كيف أبواب الحسين والسيد البدوى . أنا ذلك المجنون الذى يظنّ صوته جميلاً . بل إن صوتى جميل . بل حيث مالت بِى مصر أميل . كيف أصدق وأشتاق إلى الصدق وأطيب نفساً وأشتاق إلى الطيب . يا ليلى أنا المجنون .

يا دار ميّةَ بالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالفُ الأَمَدِ

أنشئك بنظرتى من جديدٍ بإذن الله ، أنشئك بصوتى ، أنا شباب المعلقات والمدائح ،أنا قطرةٌ فى أبجديات العربِ يا شيخهم ، أنا أبيع المسابح فى حيك يا سيدنا الحُسين ، أجد عند عتباتك عناقيد الندى وطيوف الجنة والكوثر .

ملء الأذن وملء العين .

الحمدُ للرحمن هذا الغناءْ
نباتُ طين وماء
رَيْحانَةُ القَمَرِ

الحمد للرحمن فيما أقولْ
الشمسُ كانتْ فى حجابٍ خجولْ

والأرضُ أضحت فى تمام الذهولْ
أضحت سجوداً بالمناراتِ
وطيّباتٍ ثابتاتِ الأصولْ
أوائلَ الصيف تطيل الدعاءْ

الحمدُ للرحمن هذا الغناءْ
نباتُ طين وماء
رَيْحانَةُ القَمَرِ

إن كان قلبى قاسياً كالحجرْ
فإنه يُثمرُ فيه النظرْ
ينشقُّ منه الماءُ حتى انفجرْ
يا هابطاً من خشية الله
يا واصلاً بالأفق غِبَّ المطر
ظلاً وضيئاً مثل خدّ السماء

الحمدُ للرحمن هذا الغناءْ
نباتُ طين وماء
رَيْحانَةُ القَمَرِ

إنى بربّى عائذٌ مستعينْ

أموتُ حيناً فى الهوى بعد حين
أبعثُ علم اليقين
مواسم الدنيا لدى أمسى
طافت بقلبى جنّةُ المتّقينْ
لأن قلبى موطن الشهداءْ

الحمدُ للرحمن هذا الغناءْ
نباتُ طين وماء
رَيْحانَةُ القَمَرِ

النشيد التاسع :

إلى قبلت آثار الحبيب النبى ليباكر الجنات تكبيرى وتواصل الدنيا تحياتى

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : صلّوا على طه الرسول البشير ، كل الطيور لدى السماء وكل الخيول على الأرض سابحات ومسبّحات تشير إلى ضياء دائب فى الاقتراب يوالى صهيلها وتهليلها ، بلابل وأفراس شجيّة على نهج أخضر مثل البحر فى ذلك الليل والبيرقِ فى هذا النهار والشجرِ وشمِ الخيّالة والفلاحين .

عُلِّمْتُ أسماءها وعرفت إيماءها ورأيت أبناءها مثل البشر أو مواويل أبصار وأفئدة يتابعون حديث النفس أحلاماً ، إذ كان الرجل فى الأصل غلاماً ، يمضى الشهر وتمضى السنة وتمضى المئات والآلاف ولا يزيد إلا هياما .

ويعبر الرؤيا بإذن الله والدرب القديم لُغَةً لُغَهْ ، طفلاً من الفتيان ، ما أبْلَغَهْ ، الدمع نور الذهب أقول إن الدمع نور الذهب .

أنْتَ شاعر .

قلتُ بل خمسون ، الخطباء والهامسون ، الكلُّ منغمسون فى طلب القافية ، وسألتهم عن سجعة للخير هؤلاء قالوا الطير وأولئك قالوا الخيل .

قلتُ الطريقُ إلى غدٍ وطنى
جوّاً وبرّاً لن يُصَاحِبَنى
إلا بنو الأحلامِ خيرُ بنى ..

إن ابتهالاتى
دبّت دبيب النمل فى الأرض
دبيب النور فى نبضى
حطّت على القمرين هالاتى
يارَبِّ سبحانكْ وغفرانكْ

أنا لستُ أملك من شعورى الزمام

أو من عيونى المَدَى
أنا عند عرفان امرئٍ بالجميل
من لا يرى أن القْليلِ قليل
ومن انتشى من ماء هذا النيل
من ماء هذا الغمام
من ماء هذا الندى
من ماء زمزم بالشمالاتِ

إن ابتهالاتى
دبّت دبيب النمل فى الأرض
دبيب النور فى نبضى
حطّت على القمرين هالاتى
يارَبِّ سبحانكْ وغفرانكْ
عمّا تبقّى من ظلال الذنوب
عبراتُ إنسانين سالت بِيَه
إنى أديمُ الذكرَ والتلبيه
لو أن دمعاً عن سواه ينوب
فدمعنا الماضى عن الآتى
صلّيتُ عند شواطىء القَصَبِ
وَلَدَى قراها القاهريّاتِ
الريح قد فاضت بناياتى

الـريـح فـاضـت بـالـمـزامـيـر
كنتُ المشـوق وكنت نعم الصبى
قـبّـلتُ آثـار الـحـبـيـب الـنـبـى
لـيـبـاكِـرَ الـجـنّـاتِ تـكـبـيـرى
وتـواصـل الـدنـيـا تـحـيّـاتـى

إن ابـتـهـالاتـى
دبّـت دبـيـب الـنـمـل فـى الأرض
دبـيـب الـنـور فـى نـبـضـى
حـطّت عـلـى الـقـمـريـن هـالاتـى
يـاربّ سـبـحـانـكْ وغـفـرانـكْ

النشيد العاشر :

إلى السلام عليكم من يتيم ذى مقربة

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : النور ، النور الذى يملأ العيون فتحسّ بأنها أحضانْ وتفيض عن الأحضانْ ، ألقُ العصر فى ميدانْ الرمل بالاسكندرية والظهرُ على فدّانْ القرية القاهريّة .

النور نور الأذانْ
سمع الطفل وانتبه
ما أجلّ الوجودَ ما أرْحَبَه
أرض خيرٍ وألفةٍ وانسجامِ

الفجرَ داعيةً إلى الإسلامِ
كنت شاعراً وتمنّيتُ أن أكون شاعراً وأن أُوهَبَ ما يعجز عنه كلامى .
الصفحاتُ لا تفرّها يدى ولكن تراها جملةً جملة فكأنى ما حملت جراحاً ولا كنت فى ثياب المجرّحين .
بسم الله الرحمن الرحيم
أتكونِ عينى فى النعيم ونعيمى ديوان العرب .
السَّحَرُ يا سرب القطا غلالاتٌ لا تكاد تروح وتغدو تشفُ وتبدو ، والفجر سالت منّىَ الكبدُ ، والضحى مسعى البنين هذا الشجر وهذا الماء أيُّهما صورة الآخر ، الظُّهْرُ يومانِ فى يوم ، أنا فى المغرب شيخ العصافير تصبّ فى كل الجهات من جهة واحدة وفى جهة واحدة من كل الجهات تغرّدُ ثمّ تطلب الهدوء .

هدوءاً حتى يتبيّن العاجز مكان الأشياء
نويتُ الصدق والصلاة
وخلعتُ النعل والصغائر
وسجدتُ .

سمع الطفلُ وانتَبَهْ
ماأجلَّ الوجود ما أرحَبَه
والأذانُ الأذانُ ما أرحمه

رحمةً تبسط المقام

للمساكين والأنام
ما على طالبِ السلام
أن يزكيه بابتسام
من شفاهٍ مُعَذَّبَه .

سمع الطفلُ وانتَبَهْ
ماأجلَّ الوجود ما أرحَبَه
والأذانُ الأذانُ ما أرحمه

كنتُ أحدو بقافِلَه
جَفَّتِ الأرض واللهاه
وهب الله سائله
رحمةً هذه الصلاه
أُمِرَ الماءُ فى الفلاه
أن يرانى وأن أراه
وجد النيلُ مشربه
سمع الطفلُ وانتَبَهْ
ماأَجَلَّ الوجودَ ما أرحَبَه
والأذانُ الأذانُ ما أرحمه

رزق الطفلُ أربعين

من صديقٍ ومن معين
وحداةٍ وزارعين
وصحابٍ مُتابعين
كلّهم رائع الشَبَه

سمع الطفلُ وانتَبَهْ
ماأجَلَّ الوجودَ ما أرحَبَه
والأذانُ الأذانُ ما أرحمه

أسعد القوم قريتى
قريتى القاهريّةِ
أسعدوا الصورة التى
فى عيونى البريئة
فهو عودٌ وبرعُمُ
يزدهيه التبسُّمُ
وَسَلامٌ عَلَيْكُمُ
من يتيمٍ ذى مَقْرَبَه

سمع الطفلُ وانتَبَهْ
ماأجَلَّ الوجودَ ما أرحَبَه
والأذانُ الأذانُ ما أرحمه

النشيد الحادى عشر :

إلى سموات مصر تُهَدْهِدُنى

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : هل أصف البلابل التى أطلقها الصناديد من أقفاصها الفسيحة فى تونس الخضراء ، تمدّ الجناحين مدّ الأعناق ، وهى لا تتساءل مثلى - هل الشوقُ والصبرُ يلتقيانِ ، وهل هى شىءُ أليف الكِيَانِ : طيورٌ بأغصانها وسحبٌ بأوطانها وجمائل تتقرّب وأمانات تؤدّى إلى أهلها ؟

المحيّا يدور إلى الأمام والعيون عسل يموج

تحيَّرَ ثمّ ثبتْ

قطراتُ الندى أنبَتَتْ .

حلمت صدور البلابل بركب العطاءِ والنازلين بنار حاتم الطائى ، والزاهد لمّا أضاء ولمّا أظلَّ وأزجى البخور فى طيوف الجنة والكوثر ، وغدٍ أسواره أنواره تقول طيّب وتقول حاضر .

سرب البلابل يدعى شباب القمر . لهواته ذروة الأراجيح والوثبات . شهيق الغناء يلفتنى إلى أعماقه ، صريح يغاثُ بأصرح وصادق بأصدق

نمرود أتغزو أطباق الفضاءْ
أتبنى السجون للشهداءْ

إن سرب البلابل يحفظ قولى : أنا الذى أعرف : أموت أرفرف . بلابل فى الوديان ترفع الأشجار مثل المآذن . إن رُسِمَتْ فوق لوحة القماش ثبتت طائرة . إن ذكرت لم نُغْفِل الردّ . تنادَتْ لكلّ نداء . أشرق الملهوف واعْتُصِرَتْ . تمدّ الجناحين مدّ الأعناق .

تبثُّ أمثال هتاف الجنين ـ أريد الحياة ، أطير بأمر الحنين ، يقيّدنى كلُّ دمع أراه .

يُقيّدُنى كلُّ دمعٍ أراه
وأسجدُ لله لا للطغاه

أريدُ نشيداً من المطربين

يزغرد عند الصباح المبين
يرقرق فى الفجر ماء الجبين
صلاةُ المحبّين تُسْعِدُنى

يُقيّدُنى كلُّ دمعٍ أراه
وأسجدُ لله لا للطغاه

أريدُ عرائس هذا الضمير
تُضاحكُ شمس ضحاها المنير
من الصخر تغزل طوق الحرير
فمن شبَّ عنه يجدِّدُنى
يقيدنى كل دمع أراه
وأسجد لله لا للطغاه

أريد من البدر وجهاً أتَمّ
نباتاً يطوف خيالاً ألَمّ
أينفرُ منّى الغزالُ الأغَنّ
وإنْسَانُهُ يتعَهَّدُنى

يُقيّدُنى كلُّ دمعٍ أراه
وأسجدُ لله لا للطغاه

أريــد الــريــاح الــتــى لا تــنــوح
تَغَنَّى بهـن طبـيبُ الـجروح
وأرســل عـيـنـى لعـيـنـى تـلـوح
بـخـبـزٍ ومـاءٍ تـزوِّدُنـى

يُـقـيّـدُنـى كـلُّ دمـعٍ أراه
وأســجـدُ لله لا لـلطغـاه

أريـد لأجـنـحـتـى أن تـعـود
ومـن طـيـرانـى كـمـال السـجـود
لـربٍّ غـفـورٍ رحـيـمٍ ودود
سـمٰـوات مـصـر تُـهَـدْهِـدُنـى

يُـقـيّـدُنـى كـلُّ دمـعٍ أراه
وأســجـدُ لله لا لـلطغـاه

النشيد الثانى عشر :

إلى أن كل الماء وكل الخبز وكل شعاع يتمصر فى طيف الجنة والكوثر يا طيف الكوثر والجنة

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : إن شعرى من كرامات الخشوع لا أتجبّر . لا أنهب الطريق فى سيّارة فارهة . لا أبتنى العمارات تناطح السحاب . لا أمشى فى الأرض مرحاً . وإن كنتُ حناناً دعيتُ فى المؤرخين ابن الساطعْ وتوهمت الشمس من غزل حصيرى ، وفى الشعراء الهديل الساجعُ من بحر الكاف وبحر النون ، وكنت فى الناس من جنود المزارعْ والملوك الأجراء فى القرى القاهريّة .

قد كنت يتيما ذا مقربة فحين غنّيتُ حنّنتُ كلّ المراضعْ .

الحمد لله نشيدى فى سبيل واحدة . فلتسلكها القلوب إذا شاءت أو الأذن والعقل ، لا تتغير .

يسلكها الغداة أكبادى ، عليهم الشجن البادى ، لواحظهم لا تكاد تُلقَّنُ غير الحنان وَتُلَقِّنُهُ . يمشون فى قفطانى الأخضر . فى قطرات الندى نتعثر .

ينشدون : فى طيف الجنة والكوثر
يا طيف الكوثر والجنه .

هذا فى الفجر . وفى المغرب وَجَدَتْ عيناى تركات الشمس تتقلّبُ فى الأفق مثل الكتاكيت فى جراب الحاوى .

وتقاطرت أحلامى تمشى فى ذيول الياسمين .

وكانت أيام البنّائين فى صدرِي ، تتلقى أذان المنارات وبلح النخيل وحمام الأبراج .

وأناملى تسبّح بالحبّات والحبّاتُ بأناملى .

والبراعم تشق من أكمامها لتسمعنى
وتتفتّح .

فى طيف الجنّة والكوثر
يا طيف الكوثر والجنّه

كان النيلُ بستّ ضفافه

يسرى فى كبدى مذهولا
يخترقُ الحىَّ المأهولا
الأقْوَامَ المُجْتمعينا
طلبوه أملاً ومعينا

فى طيف الجنّة والكوثر
يا طيف الكوثر والجنّه

طلبوه أملاً يسقيهم
وإلى أمسيةٍ يبقيهم
فإذا جُرِحوا كيف يقيهم
أبأدعية الدمعِ
أم بحديد الدرعِ
أم بهدير السبعِ
أم سيّانِ رآهم خَلَدُوا
ماتوا وُلِدُوا لا يتأثر

فى طيف الجنّة والكوثر
يا طيف الكوثر والجنّه

قال نويتُ يداً وسؤالا

لا أكـذب قـولاً وفـعـالا
يـا سـبـحـان الله تـعـالـى
الـنـيـل يـسـبّـحُ فـى كَـبِـدِى
أمـمـاً وشـيـوخـاً وعـيـالا
يـجـدون الـشـوقَ إلـى الأبَـدِ

فـى طـيـف الجـنّـة والـكـوثـر
يـا طـيـف الـكـوثـر والـجـنّـه

الله لـطـيـفٌ بـعـبـادِه
والـفـجـرُ يُـرَى فـى مـيـعـاده
والـنـيـلُ يـعـودُ لأكـبـاده
كلُّ الماء وكلُّ الخبزِ وكـلُّ شعاعٍ يتمصّـر

فى طيف الجنّة والكوثر
يـا طيف الكوثر والجنّه

النشيد الثالث عشر :

إلى بلابل فى النور لا ينعسون

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : من أمثال الأمم المنسية : الغياب يوماً والعودة دوماً . أضمُّ على هذا المثل شفاهى وأضمُّ جوارحى . صورة منى الرجال المطرقون والمبتهلون . استدار الحقل مثل الفِناء . والتفت فجرٌ ومساء فى لحظةٍ واحدة . كل شىء يحبُّ أن يُرَى . تظل المسافات تصيح : نظرهْ . والأرض تُدْعى البسيطهْ . والتقى فى مهجتى وتعارف السيّد يوسف والشيخ عبد الفتاح وأبو انشراح وابن الساطع

وصديقى مدكور عنده جار الحسين لا يسلو محيّاه الهديّة .

أصحيح أنهم لم يلتقوا من قبل ؟ . . لم يُهمُّوا بخطوة واحدة ، لَمْ يرسلوا نظرة أخرى معاً ، أو يتكاتفوا على طعامٍ أو يتبادلوا حديثاً ، أو يجلسوا مجلساً مثل هذا الذى نراه منهم الآن ونسمعه ، سواء قال القائل يجوز أو لا يجوز فى الخيال مالم يكن فى الدنيا ، لقد اعتصرتنى ابتسامة ذاتُ الهمّة واعتصرتهم فى مهجتى ، التَقَوْا فى أنّة المزمار تنحدر بالغمامة وتصعد بالأرض وتنشىء من الهواء والماء أمثال الجسور ، وتظلّ تشتد وترتفع وتمتدّ وتهن ، وتسمّى شبّابة ،

تَعَجَّبَتِ النجومُ من وزنها فى عينى
الضباب يريد ألا يكون
ترتدى الآفاق حسّى
ترتوى من عَبَرَاتِهْ
طفرةً أبديّه .

ياربّ حمداً إنّ هذا السكونْ
أشبه بالناىِ من الناىِ

فى مهجتى هذا النباتُ نَمَا
كأنّهُ لم يتّخذ سلّما
يُجْرِى نهاراً ساطعاً كلّما
تمثّلته فى الليالى العيون

ياربّ حمداً إنّ هذا السكونْ
أشبه بالناىِ من الناىِ

نباتُ قلبى لم يكن بالتعيس
إما تبدّى فى حجابٍ يميس
أو مُغْرَماً يُؤْمَرُ أن يستغيث
يمدُّ فى كلّ الجهات الغصون

ياربّ حمداً إنّ هذا السكونْ
أشبه بالناىِ من الناىِ

هذا نباتُ الشيخ عبد السلام
يُمْطِرُهُ النيلُ بأرض الشآم
إذا أمال ضفتيه الظلام
أقامه الأزهر والمؤمنون

ياربّ حمداً إنّ هذا السكونْ
أشبه بالناىِ من الناىِ

هذا نباتٌ طيّعٌ رَتّلاَ
مما تلاه الفجرُ فيما تَلاَ

ونـهـدُ بـأنــهُ مـا ســلا
وهـتـفُ بـالـخـبِّ مـا أعْـدَلَـه
ذ يـبـتـغـون الـعَـمَـلَ الأمـثـلا
يـبـنـون أشـواق غـدٍ لا يـنـون

يـاربّ حـمـداً إنّ هـذا الـسـكـونْ
أشـبـه بـالـنـاىِ مـن الـنـاىِ

هـذا الـسـكـونُ
هـذا الـنـبـاتُ
عـادت بـأحـبـابـى الـمُـنَـاجَـاةُ
أم شـرّقـتْ بـالـطـيـرِ أمّـاتُ
أم كـلّـهـم فـى مـهـجـتـى بـاتـوا
بَـلاَبـلاً فـى الـنـور لا يـنـعـسـون

يـاربّ حـمـداً إنّ هـذا الـسـكـونْ
أشـبـه بـالـنـاىِ مـن الـنـاىِ

النشيد الرابع عشر :

إلى الصدق فى كل ما أقول والخير فى كل من يرانى

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : ما زلتُ إ أحبو أ فوق هذى الأرض تدحرجنى الأبصار والأفئدة ، أنا فؤادٌ منها ، بل أنا زرافات من زرافات تسبّح ليل نهارْ ، يا خالق الكون أزهاراً على أزهارْ ، تقولُ الحاجة رأيت باب الفتوح وباب النصر من سندس أخضر .

هذى الغمامة طرحةٌ فلاحة . هذا الطريق إلى المصَلّى ليلة العيد إلى فجر الجنّة .

كأنى بنيت المدن

كأنى حصدتُ القمح معاوداً زرعه

كأنى رُزِقْتُ جناحاً ، يا أيها المُتَلَمِّسون يداً كما أتلَمَّسُ ، يا منثور الصباح يا نعمة الأرض أقحواناً مضعَّفاً ؛ مثل الأنوار فى جميع رمضان هذه الأبواب المشفقات على الغريب ساعةً لا تملك أن تكتمل ،

يا طريفاً من طرائف الندى ، يا كل من راح وغدا بقلبٍ مثل قلبى .

أقمرىٌ أنا أثرىٌّ قديم

أحسُّ بوجد حمام الحرمْ

الحمد لله دائماً أبداً

أُوتيتُ من الإحساس شيئاً يعارض البحر ويطاوله إلى الشاطئين تحت السماء هديلا وسجعاً .

لا أعلم لا أدرى لا أعى إلا أننى أغنّى :

لا أبرح الدهر مشدوداً إلى ظلال الغصون . كلّما قلتُ حرفاً وجدتُ نوره على لسانى .

الحمد لله إذ هدانى
عينى وقلبى مؤذِّنانِ

مؤذنان : عينى وقلبى
يا أيها الهاتف الملبّى
إنى أخافُ مقام ربّى
فى سجدة الفجر جنتان

الحمد لله إذ هدانى
عينى وقلبى مؤذِّنانِ

كأننى قائم لفرضٍ
وساجدٌ عند كلّ أرضٍ
راحت سمواتها تؤذِّنْ
وجدت نوراً على لسانى

الحمد لله إذ هدانى
عينى وقلبى مؤذِّنانِ

وجدتُ نوراً بأصْغَرَيَّا
عنقود شمس إلى الثريّا
سكينةٌ أنزلت عَلَيَّا
براءةٌ كلُّ ما أعانى

الحمد لله إذ هدانى
عينى وقلبى مؤذِّنانِ

مثل المنارات والطيورِ
لَدَى شبابٍ من العصورِ

فى نابتٍ طيّب الحضورِ
جُمِعْتُ بالوقْتِ والمكانِ

الحمد لله إذ هدانى
عينى وقلبى مؤذِّنانِ

تَصالَحَ الأُفْقُ والذُهُولُ
وربوةٌ فَوْقها السهولُ
ومغربُ الشمسِ والسحور
والبحر من بعده بحورُ
والصِّدقُ فى كلّ ما أقول
والخيرُ فى كُلِّ من يرانى

الحمد لله إذ هدانى
عينى وقلبى مؤذِّنانِ

النشيد الخامس عشر :

إلى أن أكون الساقى بعض العطاشى بعض هذا الليل

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلب السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : نعم الحديقة أشجارها البُنْيان من الهند والنخل والحور أو السرو أخته شربين والزرقاءُ ، الوجه البحرى الطلق ، أوراقها خضرٌ ولبّها يعجز الخريف ، قافيتى العدل والنقاءُ وبينهما الخبز طبعاً ، أى حُطامٍ أريد لا أتعالى .

بئس الحديقة أشجارها من فضة وذهب تتنازع أرضها وفروعها أوراقها المالية . أهى ماقاة كما تظنُّ العين المسحورَهْ ، فتح البُخلُ جحورَهْ للربا والرذائل

جار الحسين يصيح : عَرَضٌ زائل
أفسحوا الطريق إن الظهر اقتربْ
أنا أستحثّ الطربْ
أحبُّ الإدامَ السهْلَ نحن العربْ

ابنُ عبد الغفارْ مليح الشيب وكان نزيهاً ومن الخافضين جناح الذل من الرحمة طَأطَأتْ له الأسوارْ ليخرج من كابوس تلك الحديقة .

قال صحابٌ له وأهلٌ مريدون وشجر فى زى الدراويش وربيع مقدَّم : أشرقت الأنوارْ .

تولّاه مَلَكُ البكاء وسلطان التألق والرضى .

حلو الصوت فى الموّال كان مثال البلابل التونسية إلا أنه أقرب إلى الأرض فى طيرانه فلا يكاد يطير ، ورأى ذات يوم خيطاً من الماء ليس إلا خيطاً من الماء فلا يقال له غدير ، ولا يقال له جدول ، فتمنى أن يقوم مقامه ويسير سيرته وراح يغنى .

أحدو بقافلةٍ إلى الأبدِ
للفجر سلطان على كبدى
أسقى عطاشى الليل

ثم التفت بصوته لفتةً أعلى ، وضرب بمنقاره موضع الفؤاد وقال :

يا ربّ هب لى أن أكون الساقى
بعض العطاشى بعض هذا الليل
إنى لأرجو أن يُفَكَّ وثاقى

وأكون فى الطير النبات
وأكون فى النبت الطيور
ومؤخراً فى الطيّبات
عند الشمالةِ لا أجورُ
ولا يجارُ عَليَّه
يا ربّ هب لى أن أكون فُلَيَّه
ريحانة فى المساء
كأنها أخضرها تراوح بينى
وبينها والأرض عند السماء
والفجر عند الفجر من ليْلتينِ
لا تبعدَنّى هذه الأثناء
يا ربّ هب لى أن أكون مثيلَ
نجمٍ يرتلُ ليله ترتيلا
كلُّ الكواكب ساعة تأتى له
تتعلّم التسبيحْ
من بلبلٍ تُونُسِى
مزاهرٌ فى الربيعْ
تختالُ بالبُرْنُسِ
فلا يقالُ نُسِى
جار الحُسَيْنِ وصاحبى مذكورُ
وموكّلُ بالسُهد كان يدورُ

رأدَ الضحى والعصر
بالشاى أو بالطبله
فى الحىّ والأسواقِ
عند السحور وقبله
لتوحدوا الدائم
ومقسّم الأرزاقِ
يا ربّ هبْ لى أن أكون الساقى
بعض العطاشى بعض هذا الليل

النشيد السادس عشر :

إلى أن أصبح الأفق يرينا أنه الفجر المواتى

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلبُ السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : الحمد لله أنى أسحر القوم لا أنى ، أنا بلبل الشام والمغرب والسودان يا ميرغنى ، كلما تفتح شبّاك فصيحه النافذة ، وبرعم مثل يد الإنسان ، والغصن كان ساعداً من القمر ، أو أفْسَحَ الطريق حاراته ، أو رُفِعَتْ عن القُلّةِ قبتها النحاسية أو المصنوعة من لدائن العصر الحديث ملوَّنَةٍ ، انطلقت البلابل آونة من قفصها الهوائىِّ الذى لم يُنْسَ ، من تونسِ الخضراءِ ذاتِ الرواءِ ، ومن

قصبات الجزائر ومن الفرات الطائر . حلمت أنى بنيت قصيدة أبياتها قليلات أربعة أو خمسة أو عشرة أو تقول :

سكن الليْلَ ضياءٌ من ضياء
فى ديار المؤمنين الأتقياء
حَلّتِ الروحُ محلَّ القافِيَه

أى ثوب هذا ، أى قفطان ، كان أمام الحارة التى نسهر فيها عند السيد يوسف دكان ترزى عربى تحدثنى الآن أنواره وبساطه ومكواته ، وشىء يشبه زجاجَه ونعاسى ، وصنّاعه جلسوا أو تربعوا أن الأخضر أحسن الأنسجة .

أرى أشباحاً لا تزال عاكفة على أعمالها لا يلتفت منها إلا الصوت ، هل تعرف أنى ثقيل الأذن ، هل تعرف أن قلبى أخف القلوب إلى السمع والطاعة ، هل تعرف أنها رُسِمَتْ عندى خضراء عصارة ليل وشمس
أرى الطريق إلى الصلاة صلاة
إلى الدعاء دعاءً
إلى النور نوراً .

يا ولىَّ الصابرينا
يا مُجيب الدعواتِ
أصبح الأفقُ يُرينا
أنّه الفجر المواتى
طال بالليل السُجُودُ

والسموات تجودُ
أصبح النورُ وأضحى
وتملّاه الوجودُ
صلواتى ما وَنَتْ
واشتياقى ما وَنَى
حين أدعو وَأَنَا
أترجّى الوطنا
صفحاتى دَوَّنَتْ
موعدى لمّا دنا
كنت طيراً كنت نايا
فى الندى كنت نواةً
زهّر النيلُ ثراها
والسمٰوات تراها
كنتُ فى الأرض نباتاً
من نسيم الوطنيّه
حين أدعو الله خوفاً
وأرى الكوثر طيفاً
وأزيد الوَجْدَ حرفاً
صادقاً قولاً ونيّه
رُبَّ أيّامٍ تولّى
ربّما أُشْعِرَ ظلّى

بخيالى المضمحِلّ
وعظامى وَهَنَتْ
إنما أبصَرْتُ بابا
يتولّانى شبابا
أنا من شاد القبابا
صلواتى ما وَنَتْ
واشتياقى ما وَنَى
حين أدعو وأنا
أترجّى الوَطَنَا
يا ولىَّ الصابرينا
يا مُجيبَ الدعواتِ
أصبح الأفقُ يرينا
أنه الفجرُ المواتى

النشيد السابع عشر :

إلى جنة كل من فيها تغنى كل من فيها اهتدى

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلبُ السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : أحمد الله على أنى أعيش الآن فى هدأة من الزمن أقول ما أريد أن أقول فى عناقيد الندى والنور على الطريق الرمضانى ، وربما حَدِبَت نفسى على نفسى توالى راحتها من بعض الآلام ، الحمد لله قد أُلْهِمْتُ الرضى وكنت أصيلاً لا أخون الذكرى ، ولست حزينا .

جاءتنى صورة الرجل المؤنس حين شارف الموت ، يبادر فى صحوة من نومه المتقلب والمستكين ، شخصاً أمامه ـ ماذا يقول الناس فى

الشارع يا ولدى ؟ ـ وماذا تُريدهم أن يقولوا يا أبى ، وهذا الدمع تريد أن يسيل على خدّى أم تريدنى أن أكتمه أيهما أقرب إلى أصداء الزمن الغابر أو إلى أصداء الزمن الآتى .

فى مكان أسفل الصحراء على رمية بالحجر من شجيرات السيسبان ، وقرب النداء من ذاك الجدار وصيحة السور المحيط ، والهمس فى حلقات عبّاد الشمس ونبات الخروع زَرَعَ سُليّم صحبة من الرياحين أمَّ نوارٍ وعطر فيه من طيب الليل واللبن ومن دنيا الإذن والسماح ، والسؤال إذا تسلسل ، وطلاقة الشغف البادى فى عيون الأطفال تماثل مافى قلوبهم ، قيل إلى الأبد وقيل إلى حين ، فى ضياء الرياحين كان جرحك يا أخى وجرحى يتبادلان الصمت أم يتبادلان الحديث .

هذا وذاك ، وكل شىءٍ أصبح الآن جميلاً ، أم أنه كان أجمل ، أينا الفرحانْ يا دنيا العود والرَّيْحانْ ، للأرض سناء وللنحل زلزال من الألحانْ ، أى الآلات الشرقيّة وأىّ مناقير الطير تعمل فى قلبى .

الحمد لله لقد أسعدنى الحق فى حياتى وأُلْهِمْتُ الرِضَى ، وكنت أصيلاً لا أخون الذكرى .

يا صراطاً أحمدا
فى عناقيد الندى
أتْبَعَتْ عَيْنَاىَ غُصنا
فى نور الأسماء الحُسْنى
فبدا لى ما بدا

أصبح الضوءُ تلألا
أشرب الشمسَ الهلالا
لم أجد شيئاً خيالا
كل شىءٍ خَلَدَا
هاج حسى أَبَدَا
فرسٌ حرٌّ أبىٌّ
لا يُبَاريه العنَانْ
ولواءٌ عَرَبىٌّ
شامخٌ عالى السنانْ
أقْرأُ الدُنْيَا السلاما
كلُّ أوطان اليتامى
شكرته بامتنان
مَلّك الأشجارَ والأطيارَ والخَيْلَ

يا صراطاً أحمدا
فى عناقيد الندى
أتْبَعَتْ عَيْنَاىَ غُصنا
فى نور الأسماء الحُسْنى
فبدا لى ما بدا

أصبح الضوء تلألا

أنْشَرَ الله تعالى
بَلْدَةً مَيْتاً وبيتاً
كنتُ أرجوه مآلا
وأنا أحبو وأسرى
ألفُ مرآةٍ وقصرِ
فى جناحى ألفُ عصفورِ
هادم السور
ألفُ كوخ فى الكفورِ
وأنا عبدُ الرحيمِ
وأنا عبدُ الغفورِ
كلّ خُبْزٍ ونسيم
وشبابٍ فَهْوَ مصرى
وهى جنّه
كلُّ من فيها تغنّى
كلُّ من فيها اهْتَدَى

يا صراطاً أحمدا
فى عناقيد . الندى
أتْبَعَتْ عَيْنَاىَ غُصنا
فى نور الأسماء الحُسْنى
فبدا لى ما بدا

النشيد الثامن عشر :

إلى أن جار الحسين ذاكر لم ينس ما أهدى

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلبُ السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : جاءنى الشعر تمتمات على الشفاه أو مثل التمائم على صدر الرضيعْ ، مثل جار الحسين يفتح كفّه ولا شيء يضيعْ ، على محياه سناء الندى القمرىّ والشمسىّ ، تتفتح عليه ظلال الشبابيك ، فصيحها النوافذ ، وظلال البلابل الأثريّة مازالت طليقة فى الهواء تنبت الغصونْ .

القلعة البلقاء أم الحصون

يا أهل ودّى ....

أَمْ تلاقت نظرتى والشمس
فى طلاقة بلبلٍ صدّاح
كلُّ ما يرجو غدٌ والأمس
فى نمير طيّبٍ ينداح
آنَ لى يا ليلُ أن أرتاح

يا أهل ودّى ....

بلبلٌ فى المهد واللحدِ
كلُّ ما غنّيته غنّاه
لَمْ نزل فى أول العهدِ
جالسينِ عند جار الحُسَيْنِ
ذاكر لم يَنْسَ ما أهدى

يا أهل ودّى أسمعونى الفَجْرَا
أسمعونى الظُهْرَ والعصرا
أسمعونى المغرب البَصَرَا
واتركونى ساجداً لله

النشيد التاسع عشر :

إلى أنى سأظل العابد وأظل المستعين

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلبُ السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : تساءلتُ قبل أن أُسْأل ، كما هو دأبى فى الحياة منذ الصغر - ما حكاية تونس فى هذه التواشيح ؟

قلتُ مثل المجيب قبل أن أجد السجع أو أجد الشوق إليه - حَلِيَتْ تونس فى أذنى ثمراً وأوراقاً كما حليت فى هوائى الآن كلمة التواشيح .

ـ هات السببْ ـ قلتُ الندى مثل الحببْ ينير أطراف الأقحوان ويلمس قلبه . أيكون أنى ، وجدتُ تونس بنت نونٍ وسينْ تحيى ليالى الناعسينْ وتغنّى

أيكون أنك لمّا تحدثت عن المزاهر تختال بالبُرْنُسِ حول البلبلِ التونُسِى ، تذكرتَ شيخك بالوفاء ، مرسل الشعر من المنفى إلى سمع الوطنْ ، لم يجد الراحة إلاّ فى رؤية المؤنسين بين ثياب القرية القاهرية .

وجدتُ فى السجع راحتى وانسِيابى قلتُ والتونُسِىُّ يا أهل ودّى بين الإمام والبساتين ولىٌّ من الفقراء يكتفى بالعدس فى مَوْلده .

قالت النفسُ لقدْ أوشَكَتْ تونس بأقفاصها وبلابلها أن يكون لها فى هذا المقام تشريقة كما كان للهلالىِّ تغريبة إليها .

قلتُ كانوا جميعاً يبدأون القولَ بالصلاةِ على النبىِّ العربىّ سيد ولد عدنانْ وأنا أطلقتُ لنفسى العنانْ فى هذا السبيلِ منذ القِدَم ، من مصرَ والشامِ والعراقْ ، ومن خضراءَ حاليةٍ بالثمر والأوراقْ ، ومن كلّ قبيلِ .

قلبى يَطيرُ بى
فى هذا المغرب
ظلاًّ هنا وظلاًّ
فى أرض النبى

صلّى الله عليه
وآلِهِ وسلَّمْ

أنا وجدتُ ماءَ
وأحببتُ السماءَ
بعينىَّ انْتماءَ
لأنّهُ تبَسَّمْ
وأنا اسْطَعْتُ الغناءَ
لأنّ النيل زمزم

قلبى يطيرُ بى ....

أضاءَتِ الحقولُ
على طول المَدَى
والمصطفى يقولُ
قولاً مُخَلّدا
والشمسُ والقَمَرْ
السمعُ والبصرْ
هذا الصدّيق هذا
خليفتى عُمَرْ

قلبى يطيرْ بى ....

وأحمَدُ الرحيما

أن كنتُ مُسْلماً
أُدْعَى قلباً سليما
قد أهدتنى النعيما
أَهْدَتنى الكوثرا
آثارُ خيرِ من
يمشى على الثرى
الهادى المُؤْتَمَنْ

قلبى يطيرُ بى ....

أخَذَتْ تلك الظلال
بِيَدى طول السنين
وقد اهتزّ الهلال
بالقوم النازلين
جئتُ المشاهدا
وحّدتُ الواحدا
سأظَلُّ العابدا
وأظلُّ المستعين

قبلى يطيرُ بى
فى هذا المغربِ

ظلاً هنا وظلاً
فى أرض النبى

النشيد العشرون :

إلى أن الانسان الباكى سمعته طيوف الجنة

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلبُ السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : كنت عصفوراً يطير فوق البقاعْ فرأيت فى أنوارِ ماءِ السماءِ شجراً هنا لك مبصراً غدهُ - كان جميل الشموخ كان مهيب التواضع

وكنتُ طفلاً حَرَّكَتْ إصبعى مُؤَشِّر المذياعْ : جاءتنى أقطارُ الدنيا تباعاً - ماذا قلتَ يا قلبى ؟ - نحن صداها الطالبُ المطلوب ؛ يا طبلتى وقّعى قولى أقمتُ من اليَمَنْ وجداً على طول الزَمَنْ

إلى العراقِ بلا فراقِ

إلى مصرَ ما علوتُ الجسرَ

إلى تونس الخضراءِ أعوادُ أقفاصها كالغصون الأماليدْ أطلقتنى وهى تدعونى : يا وليدْ

تقابل ما أسرّ وما أعلن

علمتُ أن لى فى كل أرضٍ لداتٍ يحفظون كما أحفظ أدعية الجمهور والأولياء ، وقصائد خالدات ألقِّنُها فى طرفة عين بعد أن قطعت ألف نجعٍ وفلاة هاوية ، أنا إمام البلابل المنشدينْ ، مدّاحُ ببابك يا صلاح الدينْ ، صَبَتْ حروفُ إلى حنجرتى مثل الغرقى إلى جزيره .

هذا ديوان المناجاه ، هذا شذى أحسنه مجلسٌ فى قرية قاهرية ، أو قيل يا ولدى أصبح الليل سمير الفجر عند الحسين .

يا سيّدى أهدينا جوارك وأهدينا البيّنة

الشيخ يقرأ : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريّة » .

يا أهل ودّى وصلتم ما أمر الله به أن يوصل ، وأطعمتم أخاكم على الطريق الرمضانى ، وأرسلتموه نشيداً منشداً فى حلقات الذكر أوطان العرب .

دارت بالأرض وقلبى
ترجو الحىّ المعبودا
حلقات الذكر عقودا

وصلت أوطان العَرَبِ
وأنا أدعو يا ربّ

أدعوك وفى أضلاعى
ينبت مزمارُ الراعىْ
والأبياتُ صغيراتُ
فى الوادى وشجيراتُ
ونَخيلٌ مثلُ شراعِ
فوق البحر مناراتُ
رُفِعَتْ عينى فى الدربِ

حَدَّثْتُ بنعمة ربّى
حيث قرأتُ « فلا تنهرْ »
و « يتيماً ذا مقربةٍ »
ونزلتُ ديار الأزهر
أدعوك وما أنفاسى
إلا دعوات الناسِ
والأحياء الحنّانه
إن شواهدها صحبى

أدعوك وكان فؤادى

يخفق بطيور الوادى
ونباتٍ كالمتهادى
ثم بخيلٍ مربدٍّ
يخرج ليردّ العادى
من حدٍّ وإلى حدٍّ
فكأن الشمس تنادى
وجذور النخل تلبّى

ثم المزمارُ تأنّى
فهو خفىٌّ الإدراكِ
ينهجُ بينَ الأفلاكِ
أمْ أُنْسِىَ ما يَتَمنّى
أخرج شطأه
أصبح فجأه
لا يشعر إلاّ .. أنَّه ..
أنّ الإنسان الباكى
سمعته طيوف الجنّه

.

دارت بالأرض وقلبى
ترجو الحىّ المعبودا
حاتماتُ الذكر عقودا

وَصَلَتْ أوطان العَرَبِ
وأنا أدعو يا ربّ

النشيد الحادى والعشرون :

إلى طير يعود من الجبال الأربعه ، الله أكرمنا لقد عدنا معه ، سبحان الله

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلبُ السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : فإذا سئلتُ كيف يتقسم الكلام من صوت واحد قلتُ إنّ الأصداءَ تجينى من جبالٍ شتى ، أربعةٍ كالتى جعل عليها إبراهيم أجزاءَ الطير ثم دعاهنَّ إليه فأتينه سعياً بإذن الله ليطمئنَ قلبُه ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾

(صدق الله العظيم)

﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾

ألا يا أهل ودى إننى أيّوب
إن الأصداء تجينى من قفصٍ سجينٍ
مَنِ الذى قتلوهُ من فوق ظهرِ الهجينِ
نظمتُ فيما نظمتُ قصيدةً صابره
بكيتُ فيما بكيتُ للأمم الغابره
أحجارها ورمالها وعظامى رُضِخَتْ
أنا من عجيب المخلوقاتِ بل أنا البديهىّ فى المخلوقاتْ
أشجانى تحمل روائح الفلاحين وروائح العرب
أعطيك ماء النيلِ أو مطر الربيع
وإن قيل ارابيسك فأنا رقيق الراء والقاف : عبراتى أرقتها لتشهد ،
ورقرقتها لتغنّى وأعزقتها لتفيض
المصرىُّ من كان غَدُهُ أشدَّ رسوخاً من أمْسِه .
والشاعر من كان مصرياً
يا أهل ودّى لَقَدْ
بنيتُ أهراماتٍ من التوحيشِ ، وأَحْسَن : أهراماتٍ من النبات
عند الصباح تجدون ريشى
وهذا النشيدُ خَفْقُ الرياح

طيرٌ يعودُ من الجبال الأربعة
الله أكرمنا لقد عدنا معه

سبحان الله

الفجرُ عذبٌ والشمالُ طريّةٌ
وديارُ بكرٍ خاشعاتٌ فى الندى
يا كل ظلٍّ مشبه غصن النقا
يا كل نبت بابلىّ أينعا

طيرٌ يعود من الجبال الأربعه
الله أكرمنا لقد عدنا معه
سبحان الله

ما زالَ فَوْق الأرض يا من يَسْأَلُ
بعض الشرود وبعض آثار القمر
شقَّ السماءَ كأننى أتمثَّلُ
وأنى على حسى الحبيبُ الأولُ

طيرٌ يعود من الجبال الأربعه
الله أكرمنا لقد عدنا معه
سبحان الله

هذا حنين آمرٌ لا ينتهى

كتبتُ للمحتاج رسائلَهُ ، وكتَبَ المحتاجُ رسائلى ، فأنا سليقةُ الأشجانِ وسجيَّةُ الطرب .

دعنى ودعْ وارث الأحلام أخاك عبدَ العالِ يحسُّ بأن الحجارة فى أنوار المغرب والعِشاء دموعُ ، وهى الآن صدور الأفراح تتوالى فى عينيه ، موكباً وهو يمشى ، صحبة وهو يجلس ، ويشعر باليقين أنها ليست نشوةً طارئة ، إنها بواكير الجنة .

دعنى أقول :

أخَذَ الرَيْحانُ يُشَمُّ فى دوَّاماتٍ من الغمامات والشواطىء .

أخذ قولى يُحَبُّ ويُسْمَعُ شيئاً فشيئاً .

أخَذتْ لَيْلَةُ القدرِ تُرَى

مثل سؤال السائل : النور أسعد بالناس أم الناس أسعد بالنور فوق الأسطح وفى الصدور

هى قرار هذا البحر العلوى

هى جواب هذا الشوق كُلِّه

هى الجمعة فى الجنة بواكيرها العيد فى الوطن

غنائى يريد الحضور .

الحمدُ لله كثيرا
وُلدتُ فى الوطن الأخضرْ
واسمى ربيع الحمد
أمشى على السابعه

أو فى الثمانينِ
يا فرحةً نابعه
فى العين غنّينى
فى الصدر غنّينى
الحمدُ للهِ كثيرا
وُلدتُ فى الوطن الأخضرْ
يا عينُ غنّينى
يا ليلُ غنّينى
رجلٌ من الماضى
أسير من قَابِلٍ
ما كان إغماضى
إلّا على وابلٍ
من الرياحينِ
الحمدُ للهِ كثيرا
وُلدتُ فى الوطن الأخضرْ
أو ما تمنّيتُ
إلا الذى كانا
أو كان لى بيتُ
فى الجنّة ازدانا
بشُرفة النيلِ
فى مشرق النخلِ

والشمس والنحلِ
يظلُّ يرتفعُ
حيَّ التهاليلِ
الحمدُ للهِ كثيرا
وُلدتُ فى الوطن الأخضرْ
يا بلبلاً يجرى
وهناً على السورِ
شوقاً إلى الفجرِ
توقاً إلى النورِ
أنا شاعر البلدِ
المؤمنون يدى
فى ليلة القدرِ
الله يهدينى
الحمدُ للهِ كثيرا
وُلدتُ فى الوطن الأخضرْ

النشيد الثالث والعشرون :
إلى أن وضعت جبينا منصورا وقرأت « فيمكث فى الأرض »

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلبُ السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : كان لقيط بن يعمر من شعراء السيّد يوسف أى من الذين يحفظ لهم قصيدة مفرده ، عصماء بنت الجبل والبيداء والجاهليّة والعصر الحديث

قوموا قياماً على أمشاط أرْجُلِكُم
ثم افْزَعُوا قَدْ ينالُ الأمْنَ من فزع

لا نشكّ أنه يريد أن يردّ الاستعمارَ لا يتردّدْ
صوتُه اشتدّ مثل النحل وارْتَعَدَا
حَىَّ التهاليلِ
يَسْتفِزُّ الهالكين القَعَدَه
كنّا شروح الناى عقدُنا لن يتبدّدْ
فى خيالِ الظلّ أو يتجدّدْ
أم كنا لا نَقَعُ ولا نقومْ
فى الأربعينيّاتْ فى حارة الحلقومْ نجترُّ من دِمَن السنين
كنا تحرّرنا من الطرابيش والألقاب التُركيّة لا نقبل منها غيرَ سعدٍ فى
الزغاليلِ
كنتُ روحاً من دنشواى تستغيث
نَشْقَى شقاءً لا نهايَةَ لَهْ
نصيحُ بالقاتلين يا قَتَلَه
طارت بلابلُ بالأقفاص والشجرِ
أم بالمشانق كالجبال الأربعه
حتى تشابكت الدلالاتُ
والشمس والمرآةُ يا شرفة النيلِ
ما زلتُ أدعى ربيع الحمْدْ
عَطَفَتْ علىَّ حدائقُ الليمونْ
ما عابَ قولى عند هذا الحدْ
ألّا يحبّ سماعَهُ الظالمونْ

أنا ساجدٌ قِبْلتى أوّل بيتٍ وُضِعَ للناس
قرأتُ فى ركعتِىَ الأولى : ﴿ من كان يريد العزّة فلله العزّة جميعاً إليه يصعدُ الكَلِمُ الطيّبُ والعملُ الصالحُ يرفَعُهُ والذين يمكرون السيّئات لهم عذابٌ شديدٌ ومكر أولئك هو يبور ﴾
(صدق الله العظيم)
سبّحتُ حمداً وشوقاً وطمأنينة بعد هذا العمر .

« والعَمَلُ الصالحُ يرفَعُهُ »

أنا ما أوتيتُ من الحيله
إلّا كالشجر وأغصانِهْ
ساجدة الظلّين كَحِيلَهْ
فى نور القمر وبُستانِهْ
تحفظ أشعاراً ضائعةً
عصماء المطلع رائعةً
فوضعتُ جبينى منبعثاً
وقرأتُ « فيمكثُ فى الأرضِ »

« والعَمَلُ الصالحُ يرفَعُهُ »

الشيخ يقاربُ خُطوَاتِه

ويقول لكُمْ أهلاً سهلاً
رفقاً بالشيخ وأوقاتِهْ
وبهذا القلبِ ودقاته
كالشمس هىَ السرُّ المُعْلَنْ
مِئْذَنَةٌ أبصرت العَرْشَا
فوضعتُ جبينى لا أخشى
وقرأتُ « فيمكثُ فى الأرضِ »

« والعَمَلُ الصالحُ يرفَعُهُ »

أذْهِلْتُ ولم يُذْهَلْ غيرى
من خفقة أجنحة الطيرِ
وسؤال الظلمِ إلى الصبرِ
هل أنتَ قليلُ الأشواقِ
قد ملأ الأبرار رواقى
وكأنى أسمعتُ الصورا
ووضعتُ جبيناً منصورا
وقرأتُ « فيمكثُ فى الأرض »

« والعَمَلُ الصالحُ يرفَعُهُ »

النشيد الرابع والعشرون :

إلى قال القائل إن شاء الله

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلبُ السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : أطيبُ نفساً وأضحكُ وأبكى وأجالس علياً وعبد الباقى أَخَذْتُهُم إلى السيّد يوسف ، أغرموا بالشاى الأخضر وبألقاب النجابة والمودّة وصاحبوا هناك الهلالىّ الوراق وتوفيق الأهتم كريم البيع فى زجاج النور- أقولُ بصوتٍ لِىَ وسماتٍ له كالهديلْ :

ألا يا لقومى ، أنا وارث النومِ سلطانُ أحلام الربابة ، وشوشتنى

الحوارى فابتساماتى أُذُن
على رفيف العطر والمناديلْ
على حسّى هذى التجارة وهالات المدينة والغورىّ والأزهر وبوح الهواء
بعشق الأرض وبصيص عيون صاحبنا المغربىّ تُولدُ أجنحةٌ قناديلْ
أو كأنّ الأسوارَ قد امتثلت لِمَنْ كانوا قبلنا يوماً ولمن بعدنا يَوْماً ولنا يوماً ، .

وأفسَحَتْ لى مجالَ القول يا وَلَدِى

وما أنا إلا عجوز يغنى ، ما كنت لأرْتَجلَ النثرَ لولا احتمائى بهذا الوقار ، فإذا جاءنى الوزنُ فأهلاً بِهِ

وإن لَمْ يجى ، فإنى المشَبَّقُ والمرتجى ، وأحفظ من الأمثال « ويل للشجى . . »

وما هذا السجع إلا رؤيةٌ تترقرق فى عيونى وصوتى لتسعدنى مع السامعين بإذن الله .

وما أنا إلا بلبل طفل صبى أضحك وأبكى وأطيب نفساً .

والليل حنانٌ مطّرِدُ
تتوسّطُهُ هذى الكبِدُ
والنجم قليلاً ما يبدو
هَلْ آنَ لقومِىَ أن يَرِدوا
قد مَرَّتْ بالليل ليالى
يا لى يا لى

من بلبل دوحٍ متفائلْ
سأل السائلْ قال القائلْ
إن شاء الله

أصحوا فى اليومِ العشرينِ
وكأن النيلَ يجارينى
أو كان إلى البحر قرينى
ألِأوضَعَ تَحْتَ التمرينِ
أقطعُ آلافَ الأميال
يا لى يا لى
من بلبل دوحٍ متفائلْ
سأل السائلْ قال القائلْ
إن شاء الله

أبصرتُ غباراً بالأمسِ
عنترةً من يمّ الشمسِ
يشرعُ منهوكاً فى الكنس
فى الجوّ صغيرات النفس
تختال بجرّ الأذيالِ
يا لى يا لى
من بلبل دوحٍ متفائلْ
سأل السائلْ قال القائلْ
إن شاء الله

آرفع منقارى لا أشكو
وهو المفتوح المنطبقُ
ضادُ حاءٌ كافٌ ضحكُ
أرتادُ الأفق وأشتبكُ
مَعَ كلِّ نسيمٍ خيّالِ
يا لى يا لى
من بلبل دوحٍ متفائلْ
سأل السائلْ قال القائلْ
إن شاء الله
رَاجَتْ فى السوق مزاميرى
ما بين الغربِ وأزمير
وإلى راكبةِ الأفيالِ
يَمْدحُنى مَلِكى وأميرى
عينى واضحةٌ كضميرى
الواقعُ ما قال خيالى
يا لى يا لى
من بلبل دوحٍ متفائلْ
سأل السائلْ قال القائلْ
إن شاء الله
إن شاء الله سيحتضنُ
عوداً عودٌ فنناً فَنَنُ

فى كبِدِى الجنةُ والوطنُ
فى التسبيح ضياءٌ لَسِنُ
والشكرُ صنيعُ الأجيالِ
يا لى يا لى
من بلبل دوحٍ متفائلْ
سأل السائلْ قال القائلْ
إن شاء الله

النشيد الخامس والعشرون :

إلى أن رأيت ابتساما فداء ابتسام عجوزا يريد بطفل سرورا

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلبُ السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : انطفأ المصباح الكهربائى فى العنبر فجاءوا بمصباح الزيت . خَشبٌ وحجرٌ أصبحا مثلَ السفينة . وعروقٌ فوقنا مثلَ ألواح ودُسُر .

لا نميلُ ولا نثبُت .

لَيْسَ هذا السقف . لَيْسَ هذا القاع .

دخلت الفُلْكَ نجوتُ ، أم تذكرت حقلاً يريدُ سروري . كنتُ أون

ما كنتُ طفلاً يزغرد فى الضياء الألثغ .

كلُّ سهل لابد أن يرتفع ، لقاء بِلقاء ، مشيت فوق الأرض وتحتها .

هل يرجع الليل إنساناً كما كَانَا

عُلِمتُ طرفاً مما تبوح به الأشياء

عَنَتْ لخيالى دروبٌ كثيره

فتيل السراج من الفاتحين

أحاول وصف شعورى آنذاك الآنْ

وما عشتُ فيه آنذاك الآنْ

كلُّ القوافى حائرٌ قلقٌ .

جاءتك من عامّية القُلقّانْ ذات القوافى التى اختارها ابن فرغلى لأوّل موّال ينظمه .

كنا متجاورين فى العنبر فوق سريرين جنوداً فَعَلَه ، ثم كانت قافيته الثالثة أن صفير القطار للهمومْ لقّان .

ولكلّ موّال إذا لم تكن تعرف فرشة من ثلاث عتباتٍ كلماتٍ تحبُّ أن تتشابه لا لتخفى ولكن ليتعهدها السامعون بمثل شمس وماء فهى نبات العقول وتسمّى الزهر .

كانت الكلمة الأولى فى ذلك الموّال هى : الآنْ ـ أغربَ آنٍ أَوَيْنا إليْه ؛ أو الآنْ ـ أمراً لا يقبل الجدل أو التأجيل .

وكانت الأخرى من قلق الظلال ومن هموم للتلقين .

وانطفأ صفير القطار ، وجاءوا بضوء الزيت يبثّ هماً قليلاً ، ويُنْزِلُ بعض البلابل غصون بعض الشجر ويلقّنُ خداً بليلاً .

فأحمد ربى .

لأنى رأيتُ من الزيت نورا
رأيتُ ابتساماً فداءَ ابتسام
عجوزاً يُريدُ بطفلٍ سروراً

لقد كنتُ شابا من الصابرينْ
وكنتُ لديكم من الحاضرينْ
وأفعل يا مصرُ ما تأمُرينْ
سواءً طواعيةً أو ضروره
دموعىَ عندك ليست عبورا
نزلتُ السجون نزلتُ القبورا
ضياءً يشبُّ وظلاً يلين
وأمضيتُ سوداً وبيضاً يلين
كأنى بنيتُ وهدّمتُ سورا
وكنتُ المضيَّعَ ثمّ المُليم
لكلِّ صباحٍ مساءُ أليم

تغيَّبْتُ أُثْبِتُ فيه الحضورا
جلالُ علىَّ وصمتٌ يرين
أنا فى الموالد بعد الهلاكِ
أنا فى ثراكِ

هنا

لا أريمْ

تشرَّبْتُ نيلكِ ماء طهورا
وخلّدت حبّكِ فى الشاعرين

وأحمد ربّى

لأنى رأيتُ من الزيت نورا
رأيتُ ابتساماً فداءَ ابتسام
عجوزاً يُريدُ بطفلٍ سرورا

النشيد السادس والعشرون :
إلى بعث الفجر فى ذكرياتى وراء نخيل هجر

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلبُ السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : أعرجُ من حارةٍ إلى حارَه أنظرُ فى استدارَه كأنى من صغار الجنْ أو لَيْسَ كأنّى .

كلُّ ضوءٍ يحنْ إمّا دنا أو تباعد .

يا أهل ودّى يا مصريين يا أحبابى ، أيكون قلبى عندكم ولا أجرؤ على سؤالكم عنه . أردتُ النزول فى المغرب فنزلتُ عند السحورْ .

يا شبّاكهم ، تشدُّ إليْك الرِحَالُ وتمشى الدهورْ
تعلّمتُ من طبلتى أن أدورْ ، عَثَرْتُ على موّال جميل التشكى .
أسدلتُ عليه البراح
همستُ فما عاد فى الحىّ ظلُّ هاجرة لم يسمع ، ولا ظلّ مقيل ،
ولا ظل عشاء
لا تصدق غير ما قيل .
طبلتى لا تدورُ تدارُ إليها الصدورُ نَفَر صوتى كمثل شهقة واحدةٍ وظلّ
مقيماً يوالى من يوالى
صرّةُ المسك ليست مع السائحينا ولا البائحينا
ولا من غَدَوْا رائحينا
قُبالة كلّ مساءٍ دُعينا
قد أوشك ليلى أن يصبح نهاراً كلّه وما كان نهارى كذلك . أبكيتُ لهذا
السَبَب
على الفناجين مكتوبٌ : « مشروب الهنا » ـ أنا من حنانٍ مذوّبْ ، أنا
من حنانٍ مذوّبِ
بعض الحروف من مذهبى فى الأناشيدْ
بعض البيوت التى أشيدْ
تمايلت بهم وَبِى

أحمَدُ الله أنّى أُرَى
فاضَ دَمْعِى لهذا الأثر

كلما جئت هذا الطريق رآنى الشجر
بُعِثَ الفجرُ فى ذكرياتى وراء نخيلِ هَجَرْ

أحمد الله أنى تعلّمتُ من طبلتى
أن أكون عدوَّ الرياءِ
رُشِقْتُ بحابلْ ونابلْ
مناقير تلك البلابلْ
رُزِقْتُ بأمر ألوفٍ من الأبرياءِ
أحطِّمُ من كبريائى
وأرفع من ذلّتى
أحمد الله أنى رأيت الشوارعَ
مِثْلى ضوارعَ
مبتهلاتٍ بجفن السَحَر

أحمَدُ الله أنى أُرَى
فاض دمعى لهذا الأثَرْ
كلما جئتُ هذا الطريق رآنى الشجر
بُعِثَ الفجر فى ذكرياتى وراء نخيل هَجَرْ

أحمد الله أن العيون ترانى
وإن ذُكِرَ العيدُ والمستعيدُ فما هَجَرَانى

تناءَى الضياءُ وَرَقّ الصَدَى

كلُّ نجمٍ خليق بأن يُرْصَدَا

للذى يَحْمِلُ

والذى يأملُ

وبأمر ألوفٍ من الأبرياء

يزيدون كلّ من استشهدا

ملًا فى المدى

يبعثون تلألؤه سُجَّدا

يبعثون الغَدَا

لا يزول البصر

أحمد الله أنى أُرَى

فاض دمعى لهذا الأثر

كلما جئتُ هذا الطريق رآنى الشجر

بُعث الفجرُ فى ذكرياتى وراء نخيل هَجَرْ

النشيد السابع والعشرون :

إلى أن أركب الفجر على خيلى

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلبُ السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : ربّما أصبح الصيفُ نسيماً يأخذ الناسَ باللطفِ والإرهاق . أرى الحُلم الذى يحتوينى لا يدرى هل يبطىء أم يهرول لكى يستمرّ . السلالم تصعد وتهبط بثيابٍ أرتديها وجهاً وظَهْراً لا يمكن أن تكون ثياب غيرى ، ويمكن ، أنا شاعر هذا الناس .

لدى السماء والأرض جناحان منكسران . من الأدوار التى لا أجوس

خلالها تأتينى لافتاتٌ تقول : مراقبة . إدارة ، مَكْتَبْ

أفقتُ هَلْ يتلاشى الحُلمُ مثل الواقع وهل ينتظم الدرج وهل يبدأ السجعُ المرتّبْ

وتحْجِلُ أحاسيسى مثل الأغربة وأُلْهَمُ فى انكماشى أن بطن الأرض أحْدَبْ

أم تماسكتُ متسلسلاً مثل شهور السنة وأيام الأسبوع وساعات النهار لا أتذبذَبْ

هذا سؤال الدنيا ليس سؤال القبر لا تَخَفْ

إقرأ ﴿ومن يعملْ من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً﴾

(صدق الله العظيم)

إذهب إلى الموعد ، جالس الجدران وما بينها . أنت سبيلُ الخير إذا أرادوه للوطن . رَاوِيَةُ الحماسة والشهود وزين العابدين ، قال : فَقْدُ الأحبة غربة . قلتَ : شملُ الأحبّة وطن . تلألأ منك الجبين

قُلْ فقد ذهبتَ الآن وعدْتَ وخبرت ما تقوله :

ما الرَجُلُ الماكرُ وما الرجُلُ المهذَّبْ

أيهما خفيف الطلاء أو شديد الطلاء وأيهما أرَقُّ وأكْذَبْ

وألصق بالأرض ويحدثنى حديث الآخرة

قال شاعر اشتهر باسم « صبرك بالله » : ـ من صغر سنّى وأنا أتكلّم بكلام واحد ، قلتُ فلا تلوّع فيه إذن ولا سؤالُ لئيمٍ ولا فتورُ سقيمٍ ولا فرصة تنتهز ولا مَوْسمٌ يُرجى من خريف أو ربيع وصيفٌ ولا أعنو

للسيفْ إذا أصبح نسيماً يأخذ الناس باللطف والإرهاق

إن قوماً بَنَوْا لمثلى السجونا
عندما يسجدون لا يسجدونا
مِصْرُ لَيْلَى أسْمَتْنِىَ المجنونا

فلن تكون عاقلاً مثلهم أبداً ولن تكون لك عقولُهُمْ أبداً فلا تتعذَّبْ

يا رَبِّ إنى قائم لَيْلَيَه
فى صُحْبَةِ الفرسانِ والأوْليا
فما جناحاى ولا قَوْلِيَه
إلا طواف الركّع الساجدينا

أراحَ زينُ العابدينَ الضيوف
يا كوثر الجنّة وهو يطوف
فى موكب الأنجُمِ دَفّاتُ
يشدها للأرض ضرب الدفوف
هل أقبلوا بالأمس أم فاتوا
أقدامُ كلّ القائمين الليلْ
فى ديمةٍ من عاطرٍ منهلّ
يحنو على غَرْس الندى والطلّ
ماذا تقولُ الأرض فى عاطرٍ
يظلُّ يحنو سمعتم يظلّ

يُـريـدُ دمعى هـل سمعتم يُـريـد
تـهـامـةُ ظبـىٌ وحبـلٌ وجـيـد
لا تسمعـوا من قـال تـاه وضـلّ
أو إنــه صـار الـوحـيـد الأذلّ
أنــا وكـل الـنـاس هـذا الـوحـيـد
يـعلـو بنـا الـتـذكـار والتـنـهـيـد
وإن أردنـا مـكّـةً والـمـديـنـه
بـالبـاقـيـاتِ الـصـالحـات هـديـنـا

يـا ربّ إنـى قـائـمٌ لَـيْـلِـيَـه
فـى صحبـة الـفـرسـانِ والأوليـا
فـمـا جـنـاحـاى ولا قَـوْلِـيَـه
إلا طـواف الـركـع الـسـاجـديـنـا
أو أَرْكبُ الـفـجـر عـلى خَـبْـلِـيَـه

النشيد الثامن والعشرون :

إلى كل نجم إذا بدا

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلبُ السليمُ الفؤادُ بن الحدّادِ عبدُ الله : ربما هتف الهاتف بالذى يدعوه ـ كنْ يا تاريخ اليوم مولد الرفاعى ، خذنى يا شارع القلعة سيلاً من الطرق ، البيارقُ مورقاتٌ بالحروف العربيّه ، زُمَرُ الألوان تزهو بالمناكب وتخفّ بالأقدام ، هكذا تتزاحم الأيام أمْ تملك منزلاً بلا درج إلى سطوح يقول الشمس والقمر لا يشيحان عنى أبداً .

قلوبنا تحت الثيابِ بعد الغيابِ تُنْبت الطير المغنى . لا سيف الآن

إلا المفلول ، لا فارس إلا البهلول . لحنٍ آخر : لا أجر لمن يهدم شراً ، لا أجر لمن يبنى خيراً ، إلا إذا تعاونا ، هل من فؤادٍ قد وَنَى

يا أهل ودى تعرفون الذى أعرف ، تغَيَّبْتُ مقدارَ خانتينِ من السنوات ، يَدَيْنِ من السنوات ولكنى لم أسرق ، عَيْنَيْنِ من السنوات ولكنى أرى ، قَدَمَيْنِ من السنوات ولكنى أسير فى موكب الرفاعى . شيئاً لله يا سيّدى شيئاً لله . مفاتيح الأمانات فى رضائكم يا أهل البيت . كنت فى الصحراء كالمتأبدْ شجىَّ اللسانِ والحَلْقِ بين قطر السماء والنيّرات لا بالخليِّ ولا المتكبّدْ لا تزال البحار ترغى وتزبدْ

يلحّ الجنون على من يريده . صاح تعيش الشعاعات الأخيرة إلى الأبد .

وأُقْسِمُ أنّه صادق

خَبَرْتُ بنفسى ما كان من شعرى ولَيْلِى وعَيْنى : تزهر الأنوار فيها جميعاً وتنهض من كل مجثم مثل أطلاء زهَيْر بن أبى سُلْمَى وتفضح الظُلْمَا

يا سيّدى صدرى مُثخنٌ بالجراح ظاهرٌ بها موغلٌ لا تعمل فيه السيوف ، يا كل الشبابيك ، فصيحها النوافذ ، أنظروا أنا الرجل العبّاد .

أنا الرَجُلُ العبّادُ والأثرُ الذى
أقامته أجيالٌ من الفقراءِ
من الأرض ثمَّ .. من أعالى النوافِذِ
تسيرُ جموعُ الذاكرينَ ورائى
غنائى أُمَّه .. من قلوب ومن أكبادْ

أيا أهل ودّى فاصدحوا بغنائى
أنا الرجُلُ العبّادْ

أنا الرَجُلُ العبّادُ فى النور والندى
أرتّلُ قرآناً وأحفظ مُسْنَدَا
حيث رسولٍ اهتديتُ كما اهتَدَى
بأنواره شعبُ اليمامة واليَمَن
وتونسُ خضراء البراعم
تَفَتَّقَ يوماً من براعمه الزمن
فجئنا لكى نرسى الدعائم
فوارسَ فى ظلّ العمائم
فواعلَ بنائين نَدْعو محمَّدَا
أنا ظلّ إنسانٍ أقامَ وشيّدا
بمصر إزاءَ النيلِ دَهْراً مخلّدَا
وجاء بأسراب اليتامى فأوردا
هنيئا مريئا وَهْوَ كانَ الذى غدا
وراح إلى الروض الشريف وأنشدا
وعاد وغَرَّدَا وصلّى وجاهدا
ونادى محمّدا
تَنَوَّرَ عَيْنِى كلُّ نجمٍ إذا بَدَا
فلا تتركونى فى الركاب وفى الأغمادْ

أيـا أهـل ودى وابْعثـونى على المَدَى
أنا الرجُلُ العبّادْ

أنـا الـرَجُـلُ الـعـبَّـادُ والأثـرُ الـذى
أقـامـتـه أجـيـالٌ مـن الـفـقـراءِ
من الأرض ثمَّ .. من أعـالى النوافِـذِ
تـسـيـرُ جـمـوعُ الـذاكـريـنَ ورائـى
غنائى أُمَّـه .. من قلوب ومن أكبادْ
أيـا أهـل ودّى فـاصـدحـوا بغنـائـى
أنا الرجُلُ العبّادْ

النشيد التاسع والعشرون :

إلى فؤاد عبد الله مسبحا الله

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (صدق الله العظيم)

يقول القلبُ السليمُ الفؤادُ بن الحدّاد عبدُ الله : لم يكن مولد الرفاعى ولكن بقى على العيد ثلاثٌ .. أربعُ ليالٍ من رمضان ، عمّك إبراهيم الفرّان لا يبرح ضاحكاً ولا يبرح مكانه . البلابل من طيور الليل وكانت فى ديوانى من طيور النهار أيضاً . والبناتُ يرُحْنَ ويجئن بالكعك صاجات على صاجات . وهو صوتٌ رحبٌ مثل البصر أم طارىء مثل إرضاع اليتيم . لا أدرى هل يزيده ثباتاً أو يقلقه طلب المرونة وإيثار العافية .

لا أشبّه عينيه من السهر إلا بالسعال الديكى ، يشفى منه كل عامٍ ويقول إنه لا يصيب الطفل إلا مرة واحدة .

كنت أصف الفران لا أريد غيره فكيف وصفتُ المسحراتى أم وصفت نفسى أم السيد يوسفَ أمِ القرية القاهريّة أعماق عيونى أم الرفاعىّ بين الموالد أم الناسُ لن يسمعونى إلا فى رمضان ، على الطريق الرمضانى .

أنا الذى قلتُ : التفِتْ لى ، فَرَدَّ شيخى أم طفلى .

والشباب يدوّمونَ على مفترقات الحىّ هل أعمل شاعراً أعجمياً لأرضيهم وأصبح قائلاً « يا قمر توسّط بحق اللاسلكى وألق علينا ظل الحبيبة » .

بل يرادُ بهم ما لا يريدون . بل كنت في الشعر البوصيرى وفى التأريخ ابن خلدون . أنا كنت الصدى الصائم على الطريق الرمضانى وما كنت الصَدَى الأجوف ، كنت بدرىّ النسائم ، على طبلتى تشدّ الحبال الطروبَهْ ، ويقال عن شعر العروبَهْ فى هذا الأوان

بَحْرُ العذوبه
والعُنْفُوانْ

أشكر البيوت التى كانت تتواضع أحياناً وتسيرُ معى كتفاً إلى كتف ، هل تخيلتُ أن طولى طولها ، النيلُ والفراتُ وبَرَدَى بَلَّ حلقى هطولها فكانت بلابِلى تونسية وكانت أغنيتى سمراء تستقبل السرّاء وكانت عينى قريةً جار الحسين ـ أبنائى يفهمون منى فكيف أبناؤهم ، يا مهجتى الساجدة ، هل يرجون بقائى ، هَلْ يَشْقَوْنَ شقائى ، هل أدعو بالوصلِ أم الانقطاعْ ، أجزاء من الطير كل هذى الرقاعْ

وتعلمون أنى أتيت إليكم سعياً ، ولا أزال آتى إليكم سعياً ، ولن أبرح آتى إليكم سعيا

لا تكذبونى إن قلتُ مرةً واحدة أنى سمعتكم تدعونى يا أهل ودى يا مصريين يا أحبابى :

علـى الـطـريـق الـرمـضـانـى
فـى كـل عـصـرٍ وأذانِ
فـى الـشـمـس فـوق الـبـسـتـان
وفـى الـهـلال إذا هـلّا
يـمـشـى فـؤادُ عـبـد الله
مـسـبـحـاً الـلـه الـلـه

بل كان تمام الأغنية من قبل :

فـى الـفـجـر مـن أول وَهْـلَه
الـديـك يـصـحـو والـنـحـلـه
يـظـنـهـا قـامـت قَـبْـلَه

فـى نـشـوة الـثـمـر الـعـالـى
والـورد إذ يـشـرب طـلـه

يـمـشـى فـؤادُ عـبـ الله
مـسـبـحـاً الـلـه الـلـه

يمشى فؤادُ درويشُ
ما فى جناحيه ريشُ
كل الأغاريد تعيشْ
على خدودٍ مبتلّه

يمشى فؤادُ عبد الله
مسبحاً الله الله

يمشى ومَرَّت سنواتُ
سالت بهنَّ القنواتُ
وتلك فى الأرض نواةُ
صارت مقاماً ومظلّه

يمشى فؤادُ عبد الله
مسبحاً الله الله

يمشى هناك على الجسرِ
فى دورة الفَلَكِ المصرى
يشدو بملحمة الجِذْرِ
طيرٌ على الغصن مُوَلّه

يمشى فؤادُ عبد الله
مسبحاً الله الله

يمشى وأجيالٌ بعدى
لا يرعشون من البردِ
وفى المَدَى بين الوردِ
حفيدةٌ تحمل سلّه

يمشى فؤادُ عبد الله
مسبحاً الله الله

يمشى كأنّى لم أكُنِ
هذا الذى لا يترُكُنى
سألتهم هل يشبهنى
قالوا عساه ولعلّه

يمشى فؤادُ عبد الله
مسبحاً الله الله

رقم الإيـــداع
٣٤٢٤ / ١٩٩٠
الترقيم الدولى ٧ ـ ٠٠٠٠ ـ ٠٨ ـ ٩٧٧

على الطريق الرمضاني
في كل عصر وأزانِ
في الشمس فوقَ البستانِ
وفي الهلال إذا هَلّ

يمشي فؤادُ عبد الله
مسبّحاً الله الله

يمشي فؤادُ عبد الله
مسبّحاً الله الله

فؤاد حداد

أخبار اليوم
ادارة الكتب والمكتبات